الفصل الأول

أبعاد التحدى الصهيونى العالمى

لمنظمة التحرير الفلسطينية

المبحث الأول

تطور وتنوع أساليب التحدى الصهيونى

وضعت الحركة الصهيونية تصورها كاملا خلال مناقشات المؤتمر الصهيونى العالمى الأول فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ولخص هرزل أبو الحركة الصهيونية أطماع الصهيونية فى كتابه عن الدولة اليهودية الذى صدر فى ١٨٩٦ بحيث لا يكون انشاء الدولة اليهودية عاجلا أو بديلا لقيام إسرائيل الكبرى .

وقد بدأ العمل الصهيونى بأعداد قليلة من المهاجرين والمستوطنين اليهود فى فلسطين خلال القرن التاسع عشر والذين لم تصل نسبتهم وقت صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ أكثر من ٧٪ من إجمالى السكان العرب ، وقامت إسرائيل عام ١٩٤٨ على الجزء المخصص فى قرار التقسيم للدولة اليهودية ، واستمرت إسرائيل فى التوسع بدءا بضم أم الرشرش لتكون موطىء قدمها على خليج العقبة والبحار الجنوبية وانتهاء بمخططات الضم الفعلى لبقية الأراضى العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ فى الضفة وغزة مرورا بضم القدس وتوحيدها واتخاذها عاصمة أبدية ودائمة لها ، وكذلك ضم الجولان السورية المحتلة .

هذا من ناحية موقف الصهيونية من الأرض .

أما موقف الصهيونية من الشعب وحركة المقاومة ، فلقد أصبح من الواضح أن المخطط الصهيونى يقوم على إبادة الشعب الفلسطينى تماما حتى تكف الأصوات المطالبة بحقه فى الأرض .

ولا يشترط لتحقيق الابادة gerocide قتل كل فرد فى الشعب بأسره ، وإنما يكفى قتل إرادة المطالبة بالحقوق والإحساس بأنه صاحب حق . فلابادة الجنس الفلسطينى تتحقق عمليا بأن يصبح من الأجناس المنقرضة التى يعنى بها علماء الأنثروبولوجيا وربما علم التاريخ والآثار ،

بعد أن ينتهى اهتمام علماء السياسة بهذا الجنس تماما عندما لم يعد من الأجناس ذات الدينامية السياسية political dynamism مثل الروس البيض والآشوريين والكلدانيين ، والعبرانيين قبل إنشاء إسرائيل ، وغيرهم . فكيف تتصور الصهيونية تحقيق الإبادة الكاملة للشعب الفلسطينى ؟

تعفينا الممارسات الإسرائيلية عن الاغراق فى التصور والتفكير والتخمين عما عساه يكون المخطط الصهيونى . فلقد سلكت إسرائيل والصهيونية حتى الآن عشر أساليب لتحقيق هدفها ، وهذه الأساليب هى :

١ — إحباط آمال الشعب الفلسطينى فى أية حياة كريمة أو تسوية مشرفة مرضية للصراع . فلقد أصرت اسرائيل حتى الآن على أنها هى الأحق بكل الأرض وكل الحق وليس الفلسطينيون سوى شريحة من شعبها يعاملون معاملة أدنى من الشرائح اليهودية .

٢ — اذا كان الفلسطينيون جزءا من شعب اسرائيل داخل اسرائيل وفى الأراضى المحتلة ، فان أى مقاومة فلسطينية لأعمال السلطات الإسرائيلية يعد جريمة فى نظر القانون الإسرائيلى تستوجب العقاب والمساءلة فى نظر إسرائيل . وهذا هو المنظور الذى تمارس منه إسرائيل إجراءاتها القمعية ضد الانتفاضات الفلسطينية المستمرة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة .

٣ — إسكات المقاومة الفلسطينية بكل العنف والتعامل معها بمنطق القوة والإبادة ، إذ يكون رد إسرائيل على أية عملية فدائية باهظا فى ضحايا الرد ، فى الوقت الذى تصور فيه الأجهزة الصهيونية أعمال المقاومة التى تستهدف الضغط على إسرائيل كى تميل للمرونة السياسية ، على أنها أعمال إرهابية ضد الأمن والاستقرار والازدهار والديمقراطية فى إسرائيل .

٤ — القضاء ماديا على حركة المقاومة الفلسطينية وذلك بضرب القوات الفلسطينية ذاتها مثلما حدث عندما ضربت إسرائيل قواعد المقاومة فى لبنان وإجلائها عام ١٩٨٢ ، أو بتصفية زعاماتها جسديا مثلما حدث خلال السبعينات بشكل خاص ، ولا يزال يحدث ذلك حتى الآن.

٥ — مناهضة المنظمة على المستوى العالمى وذلك بالعمل على منع الاعتراف بالمنظمة ، أو إفقادها بعض مواقعها السياسية المؤيدة أو منافستها فى بعض قواعدها التقليدية فى العالم الثالث ، أو العمل على فقدانها المزايا الدولية التى حصلت عليها مثلما يحدث الآن فى الولايات المتحدة من محاولات تقليص وجودها الإعلامى ، ووجودها الدبلوماسى فى الأمم المتحدة .

٦ — إضعاف الوجود السياسى والعسكرى للمنظمة فى الدول العربية المواجهة مثل الأردن ولبنان ، بحيث تحرم المنظمة من أى وجود فعال ، وأن تصبح التجمعات الفلسطينية موضع صراع مع القوى السياسية المحلية مثلما يحدث فى لبنان . وتنفذ اسرائيل ذلك بعدة طرق وصل بعضها إلى حد التحريض المباشر ضد المنظمة والمساعدة على ضرب المنظمة من قبل مناهضيها .

٧ — الحرب الاعلامية الشرسة على المستوى العالمى وتصوير المنظمة وكوادرها على أنهم جماعة إرهابية تزعزع الاستقرار فى المنطقة ، وأنها تفتقر إلى الأهلية للاشتراك فى أية تسوية دولية للنزاع .

٨ — السعى إلى تمزيق صفوف المنظمة ، وتعميق أزمة العلاقة بينها وبين بعض النظم العربية بصفة مستمرة .

٩ — العمل على التشكيك فى الصفة التمثيلية للمنظمة وذلك بمحاولة إقامة هيئات مناهضة أو بديلة فى الصفوف الفلسطينية ، وتشويه صورة المنظمة وقياداتها بين الفلسطينيين .

١٠ — العمل بكل الوسائل على فصم عرى الصداقة بين المنظمة والدول الكبرى ذات الصداقة التقليدية معها مثل الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى . ولا شك أن مظاهر التقارب بين إسرائيل ومثل هذه الدول والتى بدت مؤخرا تؤثر بلا شك على رصيد المنظمة لديها إن لم يعد ذلك طرحا مباشرا من هذا الرصيد .

هذه الأساليب وغيرها تقوم على ممارستها اسرائيل والمؤتمر اليهودى العالمى والوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية على امتداد العالم ، مع ما تجنده من قوى أخرى لها فيها نفوذ فى الاقتصاد والإعلام والتعبئة وغيرها ، بالاضافة إلى استخدام النفوذ السياسى والدبلوماسى للدول المؤثرة عالميا وفى مقدمتها الولايات المتحدة .

ولا شك أن أساليب مناهضة الشعب الفلسطينى وأجهزة المقاومة فيه قد تطورت بتطور وتنوع أبعاد الصراع منذ بدايته حتى الآن .

ومع تنوع أبعاد التحدى الصهيونى لمنظمة التحرير ، فان هذه الدراسة ستركز بشكل خاص على البعد الخاص بمحاولة طمس المركز القانونى للمنظمة .

وضعية الصراع :

يطلق على الصراع فى المنطقة منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ « الصراع العربى الإسرائيلى » إشارة إلى اشتراك الدول العربية المستقلة فى ذلك الوقت فى محاولة عرقلة استيلاء الصهيونية على فلسطين ، وانتقال الصراع بذلك من إطاره المحلى بين الفلسطينيين واليهود الصهاينة إلى إطار أوسع حل فيه العرب محل الفلسطينيين وان ظل يهود اسرائيل هم المقدمة والرمز للحركة الصهيونية العالمية التى تمثل الشرنقة القوية لدودة القز .

أما أنه صراع عربى فهذه حقيقة من حيث التزام العرب جميعا قانونيا وسياسيا ومعنويا بتبنى القضية ، وتأثر العرب استراتيجيا بوجود هذا التحدى الصهيونى المتعدد الجوانب ، وثبوت هذا التأثير رغم بعد بعض الدول العربية عن منطقة المواجهة المباشرة بالغارة الإسرائيلية على تونس عام ١٩٨٥ ، وقبلها بتدمير إسرائيل للمفاعل الذرى العراقى عام ١٩٨١ فلم تعد هناك دولة عربية بمنأى عن آثار الصراع ومضاعفاته رغبت فى ذلك أم أبت ، كما صار واضحا أن الخطر يستهدف الكل فى نهاية المطاف عندما يأتى الدور مادامت الأهداف الصهيونية ثابتة وأنها تسعى بثبات الى تحقيقها .

صحيح أن الصراع فى جوهره بين طرفين يمثلان عنصرا وقوى سياسية معينة هما الطرف الغاصب والطرف الفلسطينى ، وأن السلام يبدأ بالبحث عن صيغة للتعايش بينهما ، لكن الإطار القومى ضرورى فى تناول الصراع لسبب بسيط هو أن إسرائيل ليست منقطعة الصلة بالحركة الصهيونية العالمية التى تساندها على مر العصور حركة الاستعمار العالمى ولذلك لا يمكن القول أن الصراع فلسطينى صهيونى وإلا كان صراعا بين شعب له خصائص محددة وشبح سرطانى بالغ الأثر غامض الملامح والقسمات ، ولا هو صراع بين عرب ويهود لأن ذلك يجعل الصراع بين طرفين ينتمى كل منهما إلى جنس مختلف ، فالعرب طائفة عرقية ، بينما اليهود أتباع ديانة سماوية مثل الإسلام والمسيحية .

كذلك لا يمكن القول بأنه صراع عربى إسرائيلى لأن هذا الوصف يخدم هدف الرعاية الصهيونية فى تصوير الصراع على أنه بين البحر العربى الهمجى والفردوس الإسرائيلى الحضارى ، كما أنه وصف تنقصه الدقة لاغفاله طبيعة طرفيه من حيث أن العرب أمة بينما اسرائيل دولة .

ومن قبيل التبسيط والتعمية إطلاق مصطلح النزاع فى الشرق الأوسط لأن الشرق الأوسط مفهوم جغرافى واسع تندلع فيه النزاعات كل يوم ، فضلا عن أن النزاع مصطلح قانونى ، بينما الصراع مفهوم سياسى أشمل .

ويبدو لنا أن الوصف الصحيح للموقف هو أنه صراع عربى صهيونى ، لأن وصف الصهيونى يدخل فيه كافة القوى الصهيونية التقليدية من اليهود ، كما يتسع للقوى الصهيونية غير اليهودية التى آمنت بالقضية الصهيونية دون أن يكون لها علاقة باليهودية (١) ، كذلك يسمح هذا الوصف بأن يدخل فى الجانب العربى القوى اليهودية المناهضة للحركة الصهيونية (٢) .

هوامش الفصل الأول

(١) راجع للتفاصيل عرضنا لكتاب ريجينا الشريف « الصهيونية غير اليهودية » عالم المعرفة — ديسمبر ١٩٨٥ بمجلة المستقبل العربى ، عدد سبتمبر ١٩٨٧ .

(٢) أمثال المجلس اليهودى المناهض للصهيونية والشخصيات العالمية المعروفة أمثال الربيرجر ، الفريد ليلنتال ، وتوماس ماليزون حيث سترد الاشارة فى ثنايا هذه الدراسة لدراسته القيمة عن المشكلة الفلسطينية فى القانون الدولى عام ١٩٨٦ .

W.T Mallioon, The Palestine Problem in International Law and World Arder Longman, U.S.A 1986.